

من نراثنا الأدبي

١ - أبو العيناء

بقلم محمود محمود خليل

أبو العيناء رتبة

أبو العيناء كاتب منشي* من كتاب القرن الثالث الهجري الحافل بأساطين الأدب وجملة العلماء، ولكنه كاتب ضرير البصر من العباقرة الذين سجل لهم التاريخ الذكر الحسن، أمثال أبي العلاء المروى ويشار بن برد وأضرابهما، وكان سنة الله قد جرت في الخلق أن يقتنق البصر ظلياً بالنبوغ والعبقرية، وإن تجدد لسنة الله تبديلاً. وإذا كان القدر قد أتاح لشاعر المعرة فطاحل الكتاب والأدباء بدرسونه ومحصوله، ويستخلصون فلسفته من شعره، فلا أقل من أن يدرس أبا العيناء الضرير شخص مثلي، وفي اعتقادي أن شخصية أبي العيناء جذابة فكها كما ستري، وهي تفضل شخصية شاعر المعرة العباسي للترجمة من هذه الناحية

يحدثنا الرواة أن أبا العيناء اسمه أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن خلاد بن ياسر بن سليمان، وأصل قومه من بني حنيفة من أهل النجامة، ولحقهم سبب في خلافة النصور العباسي، فلما صار ياسر في يد النصور اعتقه، فهم موالى بني هاشم

مراده ونشأته

وُلد أبو العيناء بالأهواز في آخر المائة الثانية للهجرة، ونشأ بالبصرة، وبها طلب الحديث وكسب الأدب؛ وكان على استعداد تام للحرص على كل ما يلقى عليه فأنعمت فيه تربيته بالبصرة المرمية الطيب، وأخرجته رجلاً فذاً في الحياة، مثقفاً إلى درجة حسنة، ولقد هيأته تلك الثقافة إلى رواية الأخبار الطريفة، والملاح اللطيفة، والأشعار الجيدة، حتى لقد بلغ به الأمر أن يمرض عليه المتوكل العباسي أن يكون نديمه على شرابه، ويتمني عليه لو يجيبه، فيمنعه عني بصره عن الوصول إلى تلك المرتبة السنية، وإن كان قد حاز منزلة سامية من قلب المتوكل. ونرى الأصفهاني في كتابه الأغاني يجعله من رجال سنده في جملة أخبار أئمة في كتابه، يقول في سنده له: أخبرني قدامة عن أبي العيناء عن العتيبي

وعيسى أبو الفرج فيروى لنا حديثاً طويلاً بهذا السند في أمر زواج ليل العاصرية برجل من ثقيف وشعر مجنون بني عامر حين بلغه ذلك، وسند آخر أتي به أبو الفرج. قال أخبرني محمد بن خلف، قال حدثنا أبو العيناء عن القحذبي عن أبي صالح السعدي، ثم يعرض في رواية خبر طويل يتعلق بممر بن أبي ربيعة، وكذلك ينقل عنه الأبيشي صاحب كتاب المستطرف، وغير هذين المؤلفين كثير، وعدة المؤلفين لأبي العيناء من الرجال الذين يعتمد عليهم في رواية الأخبار والأشعار ما هيأه لذلك إلا نشأته بين أولئك الفطاحل من البصريين الذين تفننى بلب علومهم، واستصغى ثمار عقولهم

كان أبو العيناء إذا تردد على علماء البصرة يأخذ عنهم. فهل كان في هذا الوقت أعمى أم بصيراً؟ يقول الرواة إنه ماعى إلا بعد أربعين عاماً من عمره، وهو زمن ليس بالقليل يكون أبو العيناء قد أخذ فيه بحظ وافر من ممتعته ببصره، والغريب في هذا حقاً أن الرواة يسطرون لنا أسطورة عن سبب عماءه؛ وهي أن جده الأكبر لقي على بن أبي طالب (ض) فأساء مخاطبته. فطفا عليه وعلى ولده بالعمى، فكل من عى منهم فهو صحيح النسب، فهذا الخبر إن صح ينبثق منه شعاع من الحقيقة يتحكم فيه قانون الوراثة، فقد ورث عن آبائه سلاطة اللسان

قال أبو العيناء حاكياً عن نفسه: أنا أول من أظهر العقوق لوالديه بالبصرة، قال لي أبي إن الله قد قرن طاعته بطاعتي، فقال تعالى: «أن اشكر لي ولوالديك» فقلت يا أبت إن الله تعالى قد أمنني عليك ولم يأمنك علي. فقال: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم»، ولم يقف بسلاطته تلك على أهله وذويه، فإن الناس كلهم كانوا يخافون معرفة لسانه، والسهام التي يقدفها في كلامه، وتستطيع أن تجده له أخباراً كثيرة في كتب الأدب تؤيد ما ذهبتنا إليه، فهذا موقفه مع فتى ماجن أراد العبث به مرة. فقال له يا أبا العيناء متى أسلمت؟ قال حين أسلم أهلكت وأبوك الذين لم يؤدبوك... الخ ذلك الخبر، وموقف آخر مع عيسى بن فرخان شاه الذي كان يتولى الوزارة وبتيه فيها على أبي العيناء، فلما عزل لقيه أبو العيناء في الطريق فلم عليه وأحنى فقال له: والله لقد كنت أقنع بإيمانك دون بيانك، وبالحظك دون لفظك، فالحمد لله على ما آلت إليه حالك، فإني كنت أخطأت فيك النعمة، فلقد أصابت فيك النعمة، وإن كانت الدنيا أبدت

الأدب تؤيد ما ذهبتنا إليه، فهذا موقفه مع فتى ماجن أراد العبث به مرة. فقال له يا أبا العيناء متى أسلمت؟ قال حين أسلم أهلكت وأبوك الذين لم يؤدبوك... الخ ذلك الخبر، وموقف آخر مع عيسى بن فرخان شاه الذي كان يتولى الوزارة وبتيه فيها على أبي العيناء، فلما عزل لقيه أبو العيناء في الطريق فلم عليه وأحنى فقال له: والله لقد كنت أقنع بإيمانك دون بيانك، وبالحظك دون لفظك، فالحمد لله على ما آلت إليه حالك، فإني كنت أخطأت فيك النعمة، فلقد أصابت فيك النعمة، وإن كانت الدنيا أبدت

اعلان

محصول أشجار الموالح المنزرعة في ٥٠ س و ١٢ ط و ٥ ف
بنقطة تجارب البساتين بالقناطر الخيرية ولا يدخل فيها المساحة
المسورة المحبوزة للمعرض

محصول أشجار الموالح المنزرعة في مساحة ١٦ س و ١ ط
و ٥ ف بمزرعة أصول الموالح بمحيرة الشعير

محصول أشجار الموالح المنزرعة في مساحة ١١ س و ٨ ط
و ٥ ف بمزرعة أصناف الموالح بمحيرة الشعير

محصول أشجار الموالح المنزرعة في مساحة ١٨ س و ٣ ط
و ٨ ف بمزرعة تجارب تسميد الموالح بمحيرة الشعير

تعلن وزارة الزراعة أنه في الساعة الثانية عشرة ظهر يوم
الأربعاء الموافق ٢٣ أكتوبر الحالى بديوان وزارة الزراعة
— باللق — سيباع بالمزاد العلنى محصول أشجار الموالح الموضحة
عاليه ، فعلى راغبى الدخول فى الزايده المعايه بالمزعتين
والاطلاع على شروط البيع يومياً بهما و بديوان قسم البساتين
— بالجيزه — ماعدا أيام العطلة الرسمية — وللوزارة الحق
فى رفض أو قبول أى مزاد بدون إبداء الأسباب



مقابحها بالاقبال عليك ، فلقد أظهرت عاسنها بالانصراف عنك ،
ولله المنه إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزهتنا عن قول الزور
فيك ، فقد والله أسأت حمل النعم ، وما شكرت حق النعم
وموقف ثالث يقفه أبو العيناء مع بعض الوزراء فى مجاسه
إذ يمدح البرامكة ويذكر سخاءم وجودهم فيقول الوزير لعنا هذا
من تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين ، فقال أبو العيناء : فلم
لا يكذب الوراقون عليك أيها الوزير ؟ فأسكتته وعجب الحاضرون
من إقدامه عليه

فهذه الأخبار وغيرها كثير تعطينا فكرة صحيحة عن
سلطة لسانه التى امتاز بها بين الأدباء المعاصرين له ، حتى كان
الوزراء وأرباب المناصب وغيرهم يخافونه ويتقون لسانه بل
يدارونه ، وتلك اللسان كما قلت كانت موروثة عن آباءه ، فقد
علمنا كيف أقدم جده الأكبر على علي بن أبى طالب (ض) ،
وأساء مخاطبته حتى دعا عليه ، وحتى استجيبت دعوته فيه وفق
أحفاده من بعده . ولكن أبا العيناء يعتذر عن بقاء لسانه حين
سأله التوكل على الله بقوله بلغنى عنك شر . فقال يا أمير المؤمنين
إن يكن الشر ذكرا الحسن بإحسانه ، والسوء بإساءته ، فقد زكى الله
وذم ، فقال فى التريكة : (نعم البمد إنه أواب) ، وقال فى الدم :
(هاز مشاء بنعيم مناع للخير ممتد أنيم) وقال الشاعر :

إذا أنا لم أمدح على الخير أهله ولم أذم الجبنس اللثيم المذمما
فقيم عرفى الخير والشر باسمه وشق لى الله الماسع والفا
وإن كان الشر كفعل المقرب التى تلسع السني والذى بطيع
لا يتمين فقد سان الله عبدك عن ذلك

وفى الحق إن أبا العيناء لم يكن يصفه على أحد من الناس إلا
على من يتعرض له بإساءة ، فإذا تجرأ على هذا شخص فويل له
من لسانه ، ولقد أجاب التوكل إذ قال له كم تمدح الناس وتذمهم
فقال ما دام الحسن يحسن والسوء يسوء ، وغرضه بهذا أنه
يعطى كل إنسان ما يستحقه من مدح أو ذم ، ولقد مدح أناسا
كثيرين ولكنه ذم أكثر ممن مدح ، وأنا وإن كنا نعتقد أن
أبا العيناء قد أسرف فى الذم اسرافا كثيرا ، فإن من الحق علينا
أن نعتز أن هناك عوامل أخرى جعلته يسرف هذا الاسراف ،
وسنعرف بعد ما هى هذه العوامل

محمد محمد خليل

(يتبع)